الوَعْدُ الصِّدْق في قَضِيَّةِ الرِّزْق

2022-09-09

الحَمْدُ للهِ الذي خَلَق الخلقَ ورزَقَهم بغيرِ حسابٍ، وساقَ لهم رحمتَه من السَّحابِ، وأَجرَى فِيهم أَمْرَه، وقضى فيهم بحُكْمِه، وامتنَّ على بَني آدمَ بالرِّزقِ والتَّكريمِ. فقال في سورة الأسراء:((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءادَمَ وَحَمَلْنَـاهُمْ فِى الْبَرّ وَلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـاهُمْ مّنَ الطَّيّبَـاتِ وَفَضَّلْنَـاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً))، وجعل الرزق بيده وحده، وأسبغه على خلقه، وقسمَه بينهم بحِكمَتِه. فقال في سورة الإسراء:((كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا))، وجَعَله من آياتِ وحدانيتِه في الكونِ. فقال في سورة النمل:((أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))، قدَّر أرزاقَ العبادِ وهَدَاهم إليها، وهَدَى مَن يَأتي بها إِلَيهم، فأعطى من شاءَ بفضلِه، ومَنَع من شاء بعِلمِه وعدلِه. فقال في سورة النحل:((وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ)). نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ، وَنشكُره تعالى عَلَى مَا أَوْلَى مِنْ نِعَمٍ سَابِغَةٍ وَأَسْدَى، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ جَلَّ شَأْنُهُ وَهُوَ التَّوَّابُ الرَّشِيدُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً نَسْتَجْلِبُ بِهَا نِعَمَهُ، وَنَسْتَدْفِعُ بِهَا نِقَمَهُ، وَنَدَّخِرُهَا عُدَّةً لَنَا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ، خير من وثق بالله واتّقى، ودلّنا على العروة الوثقى،

مَا مِثْلُ رُتْبَتِهِ الرّفيعةِ رُتْبَةٌ * في الفخْر والعَلْياءِ والإجْلالِ
كَلاَّ ولا أحَدٌ يُبارِي فضْلَهُ * مِنْ سائرِ الأملاكِ والأرسالِ
صلّوا عليه وأكْثِروا بصلاتِكمْ * أبدًا لدى الإبْكار والآصالِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. إمام الزُّهَّاد والعُبّاد. وعلى آله النجباء الأفراد. وصحابته ذوي الجِدِّ والإجتهاد. صلاة تصلح بها منّا القلوب والأجساد. وتحفظ لنا بها المال والأهل والأولاد. وتبلّغنا بها من رضاك ورضاه غاية القصد والمراد. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين.

يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ من القضايا العظيمة، التي شغلت الناس. وشوّشت عليهم، مع أنها من صميم العقيدة التي ينبغي أن تكون راسخة وقد انعقد عليها العقل والقلب والفكر والوجدان. إنها قضية الرزق. فلو سألتَ أيَّ واحدٍ منّا عن قضية الرزق لأجاب بسرعة وبلا تردّد: الرزّاق هو الله، أو الرّزق بيد الله، وموضوع الرّزقِ، من البَدَيهياتِ والأساسياتِ في حياةِ أهلِ الإيمانِ، الذينَ يتدبَّرونَ القرآنَ. كيف لا ؟!؛ وأنتَ لا تقلّبُ صفحةً من صفحاتِ المصحفِ الشريف، إلا وهذا الأمرُ مذكورٌ فيه تصريحاً أو تلميحاً، ولكن عزائي في ذلك هو قولُه تعالى في سورة الذاريات:((وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ))، فأخبرَ سبحانه أنَّ الذِّكرى مطلوبةٌ، وأنَّ الذي ينتفعُ بها هم المؤمنونَ، ثُمَّ ذكرَ أعظمَ ما يُذَكَّرُ به الإنسُ والجِنُّ، ألا وهو الغايةُ من خَلْقِهم، ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))، ونبَّهَ سبحانه على أكبرِ شاغلٍ لهم عن عبادتِه تعالى، ألا وهو طلبُ الرِّزقِ، فقالَ:((مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ))، فأخبرَ أنَّه الرَّزّاقَ: أي كثيرُ الرِّزقِ، والذي له القُدرةُ على إيصالِه لجميع الخلقِ، فلا مانعَ لِمَا أعطى، ولا مُعطي لِمَا منعَ.

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِـي عَلَى اللهِ خَالِقِي * وَأَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ لَا شَكَّ رَازِقِـي

وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِـي فَلَيْسَ يَفُوتُنِي * وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْعَوَامِقِ

سَيَأْتِـي بِـهِ اللهُ الْعَظِيـمُ بِفَضْلِـهِ * وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِـقِ

فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً * وَقَدْ قَسَّمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ

أيّها المسلمون. يقول الله تعالى في سورة هود:((وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ))، فقد أوجبَ سبحانه على نفسِه الرِّزقَ لكلِّ مخلوقٍ، يطيرُ في السَّماءِ، أو يسبحُ في الماءِ، يمشي على وجهِ الأرضِ، أو يعيشُ في باطنِ الأرضِ، حتى الجنينَ في بطنِ أمِّه أو في داخلِ بيضتِه، لا يمكنُ لأحدٍ أن يصلَ إليه، لكنَّ

اللهَ عز وجل يعلمُ مكانَه ومستقرَّه وحاجتَه وقد تكفَّلَ بهِ، ((إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا))، وعداً عليه حقّاًحقّاً، ((وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا)).

لَوْ كَانَ فِي صَخْرَةٍ فِي الْبَحْرِ رَاسِيَةٍ * صمَّاءَ مَلْمُومَةٍ مَلْسٍ نَوَاحِيهَا

رِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاهُ اللهُ لانْفَلَقَتْ * حَتَّى يُؤَدَّى إِلَيْهِ كُلُّ مَا فِيهَا

أَوْ كَانَ تَحْتَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَطْلَبُهَا * لَسَهَّلَ اللهُ فِي الْمَرقَى مَرَاقِيهَا

حَتَّى تُؤَدِّي الَّذِي فِي اللَّوْحِ خُطَّ لَهُ * إِنْ هِيْ أَتَتْهُ وَإِلاَّ سَوْفَ يَأْتِيهَا

إن كانَ أهلُ الجاهليةِ لا يشكُّونَ أنّ الرِّزقَ من عندِ اللهِ تعالى وحدَه، وأنّ آلهتُهم ليسَ لها من الأمرِ شيء، كما أخبر سبحانه في سورة يونس:((قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ))؛ فكيفَ بمن يؤمنُ باللهِ تعالى ربّاً واحداً رازقاً خالقاً عظيماً قادراً عليماً حكيماً؟! قال تعالى في سورة فاطر:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)). أيّها المسلمون. فالرزق مكتوب محفوظ للعبد منذ أن خلقه الله في بطن أمّه، لكن بحين معيّن، كما قال تعالى في سورة الحجر:((وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)). لإنّ من المتّفق عليه هناك أربعة أشياء لا تقبل التغيير أصلا: العمر والرزق والأجل والسعادة أو الشقاوة، فقد صحّ عن عبد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: حدّثنا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وهو الصّادق المصدوق:((إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. ثُمَّ يَكُونُ في ذلك عَلَقَةً مِثْلَ ذلك. ثُمَّ يَكُونُ في ذلك مُضْغَةً مِثْلَ ذلك. ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ .وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَع كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ. وَأَجَلِهِ. وَعَمَلِهِ .وَشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ)). لا إلهَ إلا اللهُ! أوّلُ ما كُتبَ لكَ في بطنِ أمِّكَ رزقُك، فهو مكتوبٌ لك مثلُ أجلِك، وأنت والذي لا إلهَ إلا هو مُلاقيه، ولا يمكنُ أن يُخطئكَ منه شيءٌ، فأبشروا وأمِّلوا، قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كما في صحيح البخاري عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عه قال:((إنّ رُوحَ

القُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي. أيْ: في قلبي. أنّ نَفْساً لنْ تَمُوتَ حَتّى تَسْتَكْمِلَ أجَلَها وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَها، فاتّقُوا الله وأجْمِلُوا في الطَّلبِ! ولا يَحْمِلَنَّ أحَدَكُمُ اسْتِبْطاءُ الرِّزْقِ أنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ الله، فإنّ الله تعالى لا يُنالُ ما عِنْدَهُ إلاّ بِطاعَتِهِ))؛ فلماذا القلقُ؟ واللهُ تعالى يقول في سورة فاطر:((مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)). أيّها المسلمون. ولنعلمْ يقينًا أنّ اللهَ سبحانه وتعالى، لهُ الحكمةُ البالغةُ في توزيع الأرزاقِ، يعلمُ أنّ من العبادِ من لا يَصلحُ له إلا الغِنى ولو افتقرَ لبغى، ومن العبادِ من لا يَصلحُ له إلا الفقر ولو اغتنى لطغى، فيُعطى هذا ويَمنعُ هذا فضلا منه وعدلاً، قال تعالى في سورة الشورى:((وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ))، وليسَ عطاؤه للدُّنيا دليلَ محبّةٍ، وليسَ منعُه لها دليلَ بُغضٍ، كما قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ فيما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين:((إِنَّ الله قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخَلاَقَكُمْ كَمَاَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ الله يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُ وَمَنْ لاَ يُحِبُ، وَلاَ يُعْطِي الإيمَانَ إلاَّ مَنْ أَحَبَّ)). فالرزقُ سرٌّ من أسرارِ العزيزِ الجَوادِ، يُوزِّعَ الأرزاقَ بينَ العبادِ، كما قال تعالى في سورة النحل:((وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ))، لا دَخْلَ في ذلكَ لا للونٍ ولا لنسبٍ ولا لجنسيَّةٍ ولا لذكاءٍ ولا لغباءٍ ولا لضَعفٍ ولا لقوّةٍ.

فكيف تخاف الفقرَ واللهُ رازقٌ * وقد رَزقَ الأطيارَ والحوتَ في البحرِ؟

ومَن ظَنَّ أنّ الرِّزقَ يأتي بقوّةٍ * لَمَا أكلَ العصفورُ شيئاً مع النَّسرِ

وصدقَ اللهُ تعالى إذ يقول كما في سورة الزخرف:((أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)). أيّها المسلمون. إنّ عظمة الله وإحسانه، وكمال قدرته، فالمخلوق الذي لا يَحْمِل الرزق يُحمَل إليه الرزق! والذي لا يملك قوت يومه أو غده ييسّره الله له. قال تعالى في سورة العنكبوت:((وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)). يُروى أنه جلَسَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ

رَحِمَهُ اللهُ يَوْماً وَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضاً مِنْ قِطَعِ اللَّحْمِ الْمِشْوِيِّ، فَجَاءَتْ قِطَّةٌ فَخَطَفَتْ قِطْعَةً مِنَ اللَّحْمِ وَهَرَبَتْ، فَقَامَ وَرَاءَهَا وَأَخَذَ يُرَاقِبُهَا فَوَجَدَ الْقِطَّةَ قَدْ وَضَعَتْ قِطْعَةَ اللَّحْمِ فِي مَكَانٍ مَهْجُورٍ أَمَامَ جُحْرٍ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ وَانْصَرَفَتْ، فَازْدَادَ عَجَبُهُ وَظَلَّ يُرَاقِبُ الْمَوْقِفَ بِاهْتِمَامٍ، وَفَجْأَةً خَرَجَ ثُعْبَانٌ أَعْمَى، فُقِئَتْ عَيْنَاهُ يَخْرُجُ مِنَ الْجُحْرِ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ، وَيَخْرُجُ وَيَجُرُّ قِطْعَةَ اللَّحْمِ إِلَى الدَّاخِلِ، فَرَفَعَ رَأسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: سُبْحَانَكَ يَا مَنْ سَخَّرْتَ الأَعْدَاءَ يَرْزُقُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً!!. أيّها المسلمون. لَقَدْ كَانَ إِيمَانُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا لِأَحَدٍ سِوَاهُ؛ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (مَنْ وَثِقَ بِاللهِ فِي رِزْقِهِ، زَادَ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ، وَأَعْقَبَهُ الْحِلْمَ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ، وَقَلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صَلَاتِهِ)، قَالَ تَعَالَى في سورة الذاريات:((وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ))، صَاحَ أَعْرَابِيٌّ وَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! مَنِ الَّذِي أَغْضَبَ الْجَلِيلَ حَتَّى حَلَفَ؟! أَلَمْ يُصَدِّقُوهُ حَتَّى أَلْجَؤُوهُ إِلَى الْيَمِينِ؟!. وَقِيلَ لِحَاتِمٍ الأَصَمِّ رَحِمَهُ اللهُ: (عَلَامَ بَنَيْتَ أَمْرَكَ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ؟ قَالَ: عَلَى خِصَالٍ أَرْبَعَةٍ: عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَا يَأْكُلُهُ غَيْرِي فَاطْمَأَنَّتْ نَفْسِي، وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَا يَعْمَلُهُ غَيْرِي فَأَنَا مَشْغُولٌ بِهِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً فَأَنَا أُبَادِرُهُ، وَعَلِمْتُ أَنِّي لَا أَخْلُو مِنْ عَيْنِ اللهِ، فَأَنَا مُسْتَحْيٍ مِنْهُ). أيّها المسلمون. ويجب علينا أن نعلم جيّدا أَنَّ الرِّزْقَ هُوَ كُلُّ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَالصِّحَّةُ رِزْقٌ، وَالْعِلْمُ رِزْقٌ، وَالأَخْلَاقُ رِزْقٌ، وَالْعَمَلُ رِزْقٌ، وَالزَّوْجَةُ وَالأَوْلَادُ رِزْقٌ، وَالْمَالُ وَرَاحَةُ الْبَالِ رِزْقٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ وَعَطَايَاهُ. قال تعالى في سورة النحل:((وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)). وَإِنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي أَرْزَاقِهِمْ لِحِكْمَةٍ رَبَّانِيَّةٍ؛ وَمَشِيئَةٍ إِلَهِيَّةٍ؛ قَالَ تَعَالَى في سورة النحل:((وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ)). وَبِهَذَا التَّفَاوُتِ بَيْنَ النَّاسِ يَخْدِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَ سُبْحَانَهُ في سورة الزخرف:((نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)). وَعَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَسْعَى لِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. إِنَّ السَّعْيَ لِطَلَبِ الرِّزْقِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَتَعَارَضُ مَعَ تَقْدِيرِ اللَّهِ لِلأَرْزَاقِ، فَفِي السنن

الكبرى للبيهقي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:((بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا شَابٌّ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ بِأَبْصَارِنَا قُلْنَا: لَوْ أَنَّ هَذَا الشَّابَّ جَعَلَ شَبَابَهُ وَنَشَاطَهُ وَقُوَّتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَقَالَتَنَا فَقَالَ: مَنْ سَعَى عَلَى وَالِدَيْهِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى عَلَى عِيَالِهِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيُعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ)). فَمَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى عَمَلِهِ أَوْ وَظِيفَتِهِ أَوْ تِجَارَتِهِ يَبْتَغِي رِزْقَهُ الْمُقَدَّرَ لَهُ فَهُوَ فِي طَاعَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُسْوَةٌ وَقُدْوَةٌ، فَقَدْ عَمِلَ صلى الله عليه وسلم بِالرَّعْيِ ثُمَّ التِّجَارَةِ، وَعَمِلَ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالتِّجَارَةِ وَغَيْرِهَا طَلَبًا لِلرِّزْقِ، فَسَاعَدَهُمْ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَالتَّسَابُقِ فِي الْمَبَرَّاتِ، فَكَانَ الْمَالُ نِعْمَ الْعَوْنُ لَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَكَذَا حَثَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ بِالْحَلَالِ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. وإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ دَوَامِ الرِّزْقِ وَبَرَكَتِهِ وَزِيَادَتِهِ: تَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَخَافَتَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، قَالَ تَعَالَى في سورة الأعراف:((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ)). وقَالَ تَعَالَى في سورة الطلاق:((وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)). وَمِنْ أَسْبَابِ دَوَامِ الرِّزْقِ: الْحِرْصُ عَلَى الْحَلَالِ وَتَحَرِّيهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالإِخْلَاصُ فِيهِ، وَتَأْدِيَةُ الْعَمَلِ بِكُلِّ صِدْقٍ وَأَمَانَةٍ، وَحُسْنُ الظَّنِّ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَفِي الْحَدِيثِ الذي أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)). وقَالَ تعالى في سورة البقرة:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)). وَمِنْ أَسْبَابِ بَرَكَةِ الرِّزْقِ: الْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالصَّدَقَةُ وَالزَّكَاةُ؛ قَالَ تَعَالَى في سورة سبأ:((وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)). وفي الحديث المتّفق عليه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ)). وَشُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَحَمْدُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى الإِنْسَانِ سَبَبٌ لِزِيَادَةِ الرِّزْقِ، قَالَ سُبْحَانَهُ في سورة إبراهيم:((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)). وَصِلَةُ الرَّحِمِ جَعَلَهَا اللَّهُ

تَعَالَى سَبَبًا فِي سَعَةِ الرِّزْقِ، وَهَنَاءَةِ الْعَيْشِ؛ ففي الحديث المتّفق قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)). وَبَسْطُ الرِّزْقِ: تَوْسِيعُهُ وَكَثْرَتُهُ، وَالْبَرَكَةُ فِيهِ. فَصِلَةُ الرَّحِمِ تَفْتَحُ لِلْإِنْسَانِ أَبْوَابَ الرِّزْقِ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَزِيدُ الرِّزْقَ وَالْعَطَاءَ. وَكُلُّ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ تَزِيدُ مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة النساء:((فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ)). أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. إِنَّ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَه، فَيُحْسِنَ عَاقِبَتَهُ، وَيُنْعِمَ عَلَيْه بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَرَاحَةِ الْبَالِ، وَغِنَى النَّفْسِ، ورى الترمذي عن رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أنه قال:((ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ)). فَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا أَوْرَثَ صَاحِبَهُ الرِّضَا وَالْقَنَاعَةَ، وَذَلِكَ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ روى ابن ماجه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:((يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ)). وَالرِّضَا وَالْقَنَاعَةُ لَا يَتَعَارَضَانِ مَعَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنَا بِالسَّعْيِ فِي الأَرْضِ؛ فَقَالَ في سورة الملك:((هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)). فَإِذَا أَدَّى الإِنْسَانُ فَرْضَ رَبِّهِ، انْطَلَقَ إِلَى عَمَلِهِ، مُسْتَجِيبًا لأَمْرِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ كما في سورة الجمعة:((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ)). أَيْ: إِذَا فَرَغْتُمْ مِنَ الصَّلَاةِ فَتَفَرَّقُوا فِي الأَرْضِ لِمُتَابَعَةِ أَعْمَالِكُمْ وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ وَمَصَالِحِكُمُ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي فِيهَا مَعَاشُكُمْ، وَابْتَغُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ. أيّها المسلمون. هذه المفاهيم الشرعية حول قضية الرزق ينبغي أن نتذكّرها دائماً وأبدا، فإنّ تدبّرها وتأمّلها والإيمان بها يريح النفس من العناء، وحين تختلّ هذه المفاهيم وتُنسى هذه القِيَم يُصاب الناس بأدواء الدنيا المهلكة التي حذّر منها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث المتفق عليه عنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا مَعْنَاهُ:((أنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ بعثَ أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجرَّاحِ رضيَ اللهُ عنهُ إلى بِلادٍ لِيَجْلِبَ منها المالَ فلمَّا قَدِمَ وسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بقُدومِهِ وافَوْا صلاةَ الفَجْرِ معَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ، فَلمَّا صلّى رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ انصرَفَ وَقَفُوا أَمَامَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ حينَ رءاهُمْ ثُمَّ

قالَ: أظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أنّ أبا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بشيءٍ مِنَ البحرينِ؟ فقالُوا: أَجَلْ يا رَسُولَ اللهِ، فقالَ: أَبْشِرُوا وَأَمِّلوا ما يَسُرُّكُمْ. أيْ لِيَكُنْ لكُمْ أملٌ في هذا أيْ رجاءٌ. قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: فوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عليكُمْ ولكنِّي أَخْشَى أن تُبْسَطَ الدُّنْيا عليكُمْ كما بُسِطَتْ على مَنْ كَانَ قبلَكُم فَتَنَافَسُوها كَما تَنَافَسُوها فتُهْلِكَكُمْ كما أهلَكَتْهُم)). وأختم كلامي بهذه القصة. روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان عطاء الحسن بن علي رضي الله عنهما كل سنة مائة ألف. فحبسها معاوية في بعض السنين فحصلت له ضائقة شديدة. قال فدعوتُ بدواة لأكتب لمعاوية لأذكّره بنفسي. ثم أمسكتُ فرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام. فقال كيف أنت يا حسن؟ فقلت بخير يا أبتِ. وشكوتُ إليه تأخّر المال عنّي. فقال: أدعوتَ بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكّره؟ فقلتُ: نعم يا رسول الله. فكيف أصنع؟ فقال قل: اللهم أقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمّن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك. اللهم وما ضعفت عنه قوّتي. وقصر عنه علمي. ولم تنته إليه رغبتي. ولم تبلغه مسألتي. ولم يجر على لساني. ممّا أعطيت أحدا من الأوّلين والآخرين من اليقين. فخصّني به يا أرحم الراحمين. قال فوالله ما ألححتُ به أسبوعا حتى بعث إليّ معاوية بألف وخمس مائة. فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى مَن ذكره ولا يغيب مَن دعاه. فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله. وحدّثته بحديثي فقال: يا بني هكذا مَن رجا الخالق ولم يرجو المخلوق). اللهم اجعلنا من أوثق خلقك بك وأفقر عبادك إليك، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى قوّتنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ولا أقلّ من ذلك يا رب العالمين، اللَّهُمَّ ارزقْنَا رزقًا حلالاً طيِّبًا وبارِكْ لنَا فيهِ. واجعلْنَا مِنَ الشاكرينَ لكَ عليهِ، اللَّهُمَّ إنَّا نسألُكَ تقْوَاكَ ومخافتَكَ، اللَّهُمَّ اجعلْنَا مِنَ المستغفرينَ لكَ، اللَّهُمَّ اجعلْنَا مِنَ الواصلينَ لأرحامِهِمْ. والمحسنينَ إلَى جيرانِهِمْ وضعفائِهِمْ، اللَّهُمَّ ارزقْنَا القناعةَ، والرضا بما قسمتَ لنا في الدنيا. واجعل همّنا الآخرة. واهدنا لما فيه رضاك وخيرنا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

اهـ